مقتطفات من كتاب
حقائق الإسلام وأباطيل خصومه
عباس العقاد



إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com

ولما كان محل اتفاق أن الأستاذ عباس محمود العقاد موفور النصيب من هذا كله ، كان طبيعيًا أن يتجه التفكير إليه ، وكان طبيعيًا أن يرتاح هو إلى هذا الاتجاه ؛ لما أخذ نفسه به من مؤازرة الحق وتأييده ، ومقاومة الباطل وتفنيده .

وها هو ذا كتابه «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» يخرجه المؤتمر الإسلامى لكل مَعْنِىٍّ بالثقافة ، راغبٍ فى تمييز الحق من الباطل ، راجٍ أن يقف على أصول الإسلام ومبادئه ؛ ليحقق به المؤتمر غرضًا من أغراضه ؛ هو نَشر الثقافة الدينية خالصة مما يشوبها من شبهات ، ويَعْلَق بها من ريب .

هذا ، والنية أن يترجم الكتاب إلى اللغة الإنجليزية ، واللغات الآسيوية ؛ ليعم نفعه ، وليكون له الأثر المرجو .

والله سبحانه هو المستعان ، وهو ولينا ، وهو نعم المولى ونعم الوكيل .

تحريرًا فى ٢٥ مارس سنة ١٩٥٧م .

أنور السادات

السكرتير العام للمؤتمر الإسلامى

ونبدأ الآن من البداءة فى هذه الفاتحة فنقول : إن أكبر الشبهات التى تعترض عقول المتشككين والمنكرين شبهتان هما : شبهة الشر فى العالم ، وشبهة الخرافة فى كثير من العقائد الدينية . وخلاصة شبهة الشر : أنهم لايستطيعون التوفيق بين وجود الشر فى العالم وبين الإيمان بإله قدير كامل فى جميع الصفات . وخلاصة شبهة الخرافة فى كثير من العقائد الدينية : أنهم لايستطيعون التوفيق بين العقائد وبين المحسوسات والمعقولات التى تتكشف عنها معارف البشر كلما تقدموا فى معارج الرقىِّ والإدراك .

وشمول العقيدة الإسلامية هو الذى حقق للإسلام ما لم يتحقق لعقيدةِ غيرِه من تحويل الأمم العريقة التى تدين بالكتب المقدسة إلى الإيمان به عن طواعية واختيار ، كما آمنت به الأمم المسيحية والمجوسية والبرهمية فى مصر وسوريا وفارس والهند والصين .

ولقد عُزِىَ انتشار الإسلام فى صدر الدعوة المحمدية إلى قوة السيف ، وما كان للإسلام يومئذ من سيف يصول به على أعدائه الأقوياء ، بل كان المسلمون هم ضحايا السيف وطرائد الغشم والجبروت . وإن عدد المسلمين اليوم بين أبناء الهند والصين وأندونيسية والقارة الإفريقية ليبلغ تسعة أعشار المسلمين فى العالم أجمع ، وما روى لنا التاريخ من أخبار الغزوات الدينية فى عامة هذه الأقطار ما يكفى لتحويل الآلاف المعدودة ـ فضلا عن مئات الملايين ـ من دين إلى دين .

ولقد عزى انتشار الإسلام بين السُّود من أبناء القارة الإفريقية إلى سماح الإسلام بتعدد الزوجات ، وما كان تعدد الزوجات بالأمر الميسور لكل من يشتهيه من أولئك السود المقبلين على الدين الإسلامى بغير مجهود ، ولكنهم يجدون الخمر ميسرة لهم حيث أرادوها وقد حرمها الإسلام أشد التحريم ، فلم ينصرف عنه السود لأنه قد حال بينهم وبين شهوة الشراب التى قيل : إنها كانت شائعة بينهم شيوع الطعام والغذاء .

إنما شمول العقيدة الإسلامية دون غيره هو العامل القوى الذى يجمع إليه النفوس ويحفظ لها قوة الإيمان ، ويستغنى عن السيف وعن المال فى بث الدعوة ، كلما تفتحت أبوابها أمام المدعوين إليها بغير عائق من سلطان الحاكمين والمتسلطين .

وابتدأ عيسى ابن مريم دعوته الأولى مختصًا بها بنى إسرائيل دون سواهم من العالمين ، وذكرت لنا الأناجيل تفصيل الحوار الذى دار بين السيد المسيح وبين المرأة الكنعانية التى توسلت إليه أن يخرج الشيطان من ابنتها ، فروى إنجيل مرقص فى الأصحاح السابع :

«إن امرأة بابنتها روح نجس سمعت به ؛ فأتت وخرت عنه قدميه ، وكانت المرأة أممية ـ أى من أبناء الأمم غيرالإسرائيلية ـ وفى جنسها فينقية سورية ، فسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها ، فقال يسوع لها : دعى البنين أولاً يشبعون ؛ لأنه ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب! فأجابت وقالت : نعم ، يا سيد ، والكلاب - أيضًا - تحت المائدة تأكل فتات البنين . فقال لها لأجل هذه الكلمة : اذهبى قد خرج الشيطان من ابنتك . . .» .

إن السيد المسيح «خرج من هناك وانصرف إلى نواحى صور وصيدا ، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة : ارحمنى ، يا سيد يا بن داود ، ابنتى مجنونة جدًا . فلم يجبها بكلمة ، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : اصرفها ؛ لأنها تصيح وراءنا . فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة . فأتت وسجدت له قائلة : يا سيد ، أَعِنِّى . فأجاب وقال : ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب! فقالت : نعم ، يا سيد ، والكلاب أيضًا تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها . حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة ، عظيم إيمانك ، ليكن لك كما تريدين . فشفيت ابنتها من تلك الساعة» .

وقد وصف «جورج سيل» مترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية حالة المسيحيين فى الحجاز وفى سائر الأنحاء القريبة منها فقال ما ننقله من مقدمة ترجمته للقرآن :

«إنه من المحقق أن ما ألم بالكنيسة الشرقية من الاضطهاد واختلال الأحوال فى صدر المائة الثالثة للميلاد قد اضطر كثيرين من نصارها أن يلجأوا إلى بلاد العرب ؛ طلبًا للحرية ، وكان معظمهم يَعَاقِبَةً ؛ فلذا كان معظم نصارى العرب من هذه الفِرْقة . وأهم القبائل التى تنصرت : حِمْيَرُ وغَسَّانُ وربيعةُ وتَغْلِبُ وبهراءُ وتَنُوخُ وبعضُ طَيِّئٍ وقضاعة وأهل نجران والحيرة . . . ولما كانت النصرانية بهذه المثابة من الامتداد فى بلاد العرب لزم عن ذلك - ولا بد - أنه كان للنصارى أساقفة فى مواضع جمة ؛ لتنظم بهم سياسة الكنائس وقد تقدم ذكر أسقف ظفار وقال بعضهم كانت نجران مقام أسقف ، وكان لليعاقبة أسقفان : يدعى أحدهما أسقف العرب بإطلاق اللفظ ، وكان مقامه باكولة ، وهى الكوفة عند ابن العبرى أو بلدة أخرى بالقرب من بغداد عند أبى الفداء ، وثانيهما يدعى أسقف العرب التغلبيين ومقامه بالحيرة . أما النساطرة فلم يكن لهم على هذين الكرسيين سوى أسقف واحد تحت رياسة بطريكهم» .

يقول نيتشه فى إحدى كلماته التى لا ندرى أفى جد أم مزاح : إن الإنسان قنطرة بين القرد والسوبرمان .

وكاد يمزح من يقول هذه الكلمة وإن لم يقصد إلى المزاح ؛ فإن القنطرة التى قصاراها أن تنقل الإنسان من قرد إلى سوبرمان لا توجد ولا يمكن أن توجد . . فتلك قنطرة لا يبنيها القرد ولا يبنيها السوبرمان ولاتبنى نفسها بيديها ولا تبنيها الطبيعة التى قد تخطو من حالق إلى الهاوية ، وقد تخطو من الهاوية يمنة ويسرة إلى غير وجهة .

إنما الأحجى أن يقال : إن الإنسان قنطرة من الأرض إلى السماء يبنيها الله :

قنطرة قرارها أسفل سافلين وذروتها أعلى عليين .

معراج من التراب المجبول إلى أفق الأرواح والعقول .

﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ [الانشقاق : ٦]

وإنه لملاقيه لأنه مخلوق على صورته كما جاء فى الحديث النبوى الشريف .

مخلوق على صورة الخالق .

يرتفع من التراب إلى السماء أوجًا فوق أوج فى طريق عسر طويل هو طريق النهوض بأمانة التكليف .

حرم الربا تحريما باتا فى الكتب المنسوبة إلى موسى عليه السلام ؛ فجاء فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر الخروج :

«إن أقرضت فضة الفقير الذى عندك فلا تكن له كالمرابى».

وفيه بعد ذلك .

«إن ارتهنت ثوب صاحبك فإلى غروب الشمس ترده إليه... لأنه وحده غطاؤه. هو ثوب لجلده. فى ماذا ينام!».

وجاء فى الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية :

«لا تقرض أخاك ربا. ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شىء مما يقرض بربا...».

وسرى هذا التحريم إلى عهد النبى حزقيال والنبى نحميا . فقال النبى نحميا فى الإصحاح الخامس من كتابه :

«أنى بكت العظماء والولاة وقلت لهم إنكم تأخذون الربا كل واحد من أخيه...».

والمقصود بإشارة نحميا أن الربا المحرم إنما هو الربا الذى يأخذه الإسرائيلى من أخيه ؛ لأن الربا المأخوذ من أبناء الأمم الأخرى مباح كيف كان ، والإصحاح الثالث والعشرون من سفر التثنية المنسوب إلى موسى عليه السلام صريح فى إباحة أخذ الربا من الأجنبى حيث يقول مخاطبًا شعب إسرائيل :

«للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكى يباركك الرب إلهك فى كل ما تمتد إليه يدك...».

فمن الشئون التى كان يتولاها الكاهن تمحيص أعراض العلل والأدواء وعزل المصابين بها وإعلان نجاستهم على الملأ لاعتقادهم أن المرض الخبيث المعدى نجاسة منافية للطهارة الدينية أو ضربة من الضربات الإلهية ، ويشرح كتاب اللاويين فى الإصحاح الثالث عشر منه مثلا من ذلك فيقول فى بيان المعاملة الواجبة للمصابين بالبرص :

«إذا كان إنسان قد ذهب شعر رأسه فهو أقرع . إنه طاهر . وإن ذهب شعر رأسه من جبهة وجهه فهو أصلع . إنه طاهر . لكن إذا كان فى القرعة أو الصلعة ضربة بيضاء ضاربة إلى الحمرة فهو برص مفرخ فى قرعته أو فى صلعته كمنظر البرص فى جلد الجسد فهو إنسان أبرص ، إنه نجس ، فيحكم الكاهن بنجاسته . أن ضربته فى رأسه . والأبرص الذى فيه الضربة تكون ثيابه مشقوقة ورأسه يكون مشقوقا ويغطى شاربيه وينادى : نجس نجس ! كل الأيام التى تكون الضربة فيها يكون نجسا . إنه نجس يكون وحده خارج المحلة . . .» .

وتناولت الشريعة معاملات الجزاء والعقاب فى الجرائم التى تقع من الناس وفى الإصابات التى تقع من الحيوان ويجزى بها الحيوان كما يجزى بها صاحبه فى بعض الأحيان : ومن أمثلة ذلك عقاب الثور الذى ينطح إنسانًا كما جاء فى الإصحاح الحادى والعشرين من سفر الخروج .

«إنه إذا نطح ثور رجلا فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه ، وأما صاحب الثور فيكون بريئًا . ولكن إذا كان ثورًا نطاحًا وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلاً أو امرأة فالثور يرجم وصاحبه أيضًا يقتل . . .» .

أصدق ما قيل فى الأديان العالمية أنها ثورات واسعة ، ولا تقاس السعة فى هذه الثورات بامتداد المكان ولا بكثرة العدد ؛ لأنها أوسع ما تكون إذا نشبت فى داخل النفس الإنسانية وكانت القوة الثائرة والقوة المتغلبة فيها مملكة واحدة هى مملكة الضمير .

ولا نهاية يومئذ لمظاهر التبديل والتغيير التى تتكشف بها الثورة فى تلك المملكة الصغيرة الكبيرة ؛ لأنها تلحق بكل ما تزاوله النفس من شئونها الباطنة والظاهرة : تلحق بالأفكار والهواجس الخفية ، وتلحق بالعادات أو الأخلاق ، وتلحق بالعرف والقانون ، وتلحق بالنظم الاجتماعية والدساتير الحكومية ، وتلحق بالحاكمين والمحكومين ، وتلحق بكل مملكة لأنها لحقت قبل ذلك بتلك المملكة الصغيرة الكبيرة ؛ مملكة الضمير !

وأوسع ما تكون ثورة الضمير إذا جاءت من قبل الثورة فى تقدير الحقوق .

إن الثائر لضيق نزل به يهدأ إذا انفرج ذلك الضيق ، وإنه ليثور كما تثور الريح المحجوزة والحيوان الحبيس ، ما هو إلا أن يرتفع الحاجز وينفتح الباب حتى تهدأ الثورة ويسكن الثائر والمثير ، ولكنه إذا وثب وثبته فى سبيل حق يؤمن به لا يرجع عنه أو يظفر به كما يطلبه ، وإذا ظفر به لنفسه لم يكفف عن الطلب وهو يراه مضيعًا عند غيره ، ويكاد يلمس فى كل شىء نذيرًا له بضياع الحق وحافزًا له على حمايته أن يضيع ؛ فإنما الثورة الباطنة هى محضأ الثورة الظاهرة ، وطالب الحق هو المطلوب الذى لا ينام عن طلبه ، وهو الرقيب على سريرته قبل كل رقيب .

ومن أجمل ما فى الإسلام أن هذه الحقوق العليا فيه لا تحرم الإنسان حقه فى الحياة ولا تزهده فى طيباتها ومحاسنها ، فحق الضمير لا يجور على حقه فى الحياة الدنيا . وهو مأمور بالسعى والعمل والاستمتاع بما يكسبه بسعيه وعمله من نعمتها وزينتها ، أمره بذلك كأمره برعاية حقه من العدل والحرية والكرامة .



﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا ﴾ [البقرة : ١٦٨]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة : ٢٦٧]

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا ﴾ [الأعراف : ٣١]

﴿ لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ ﴾ [المائدة : ٨٧]



ونقول إن الأمر بحق الحياة من أجمل ما جاء به الإسلام . لأن الإنسان لم يتعود من الدين قبله أن يأمره بهذا الحق ، وإنما تعود من أديان كثيرة أن تنهاه عنه ، وأن تجعل زهده فى الأرض شرطًا لحظوته فى السماء .

وظل آباء الكنيسة فى الغرب يبيحون تعدد الزوجات ويعترفون بأبناء الملوك الشرعيين من أزواج متعددات ، فلما منعته بعد القرن السابع عشر على إثر الخلاف بينها وبين الملوك الخارجين عليها كانت حجة منعه أن الاكتفاء بالواحدة أخف الشرور لمن لا يقدر على الرهبانية ، ولم يكن منعه إكبارًا لشأن المرأة يوم كان الخلاف بينهم على أنها ذات روح أو أنها جسد بغير روح . . . ولم يكن بينهم خلاف يومئذ على أنها حبالة الشيطان ، أبعد ما يكون الإنسان عنها أسلم ما يكون .

وينبغي أن ننبه إلى وهم غالب بين الجهلاء والمتعجلين من المثقفين عن سنن الأديان في تعدد الأزواج قبل الإسلام . إذ الغالب على أوهامهم أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي أباح تعدد الزوجات أو أنه أول دين أباحه بعد الموسوية والمسيحية .

وليس هذا بصحيح كما يبدو من مراجعة يسيرة لأحكام الزواج في الشرائع القديمة ، وفي شرائع أهل الكتاب ، فلا حجر على تعدد الزوجات في شريعة قديمة سبقت قبل التوراة والإنجيل . ولا حجر على تعدد الزوجات في التوراة أو في الإنجيل ، بل هو مباح مأثور عن الأنبياء أنفسهم من عهد إبراهيم الخليل إلى عهد الميلاد ، ولم يرد في الأناجيل نص واحد يحرم ما أباحه العهد القديم للآباء والأنبياء ولمن دونهم من الخاصة والعامة ، وما ورد في الأناجيل يشير إلى الإباحة في جميع الحالات والاستثناء في حالة واحدة ، وهي حالة الأسقف حين لايطيق الرهبانية فيقنع بزوجة واحدة اكتفاء بأهون الشرور . وقد استحسن القديس أوغسطين أن يتخذ الرجل سرية مع زوجته إذا عقمت هذه وثبت عليها العقم ، وحرم مثل ذلك على الزوجة إذا ثبت لها عقم زوجها لأن الأسرة لا يكون لها سيدان[1] ، واعترفت الكنيسة بأبناء شرعيين للعاهل شرلمان من عدة زوجات ، وقال وستر مارك Wester Mark العالم الثقة في تاريخ الزواج إن تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقي

إلى القرن السابع عشر وكان يتكرر كثيرًا في الحالات التي تحصيها الكنيسة والدولة ، وعرض جروتيوس العالم القانوني المشهور لهذا الموضوع في بحث من بحوثه الفقهية فاستصوب شريعة الآباء العبرانيين والأنبياء في العهد القديم .

والسيدة زينب بنت خزيمة مات زوجها عبد الله بن جحش قتيلاً في غزوة أحد ، ولم يكن بين المسلمين القلائل في صحبته من تقدم لخطبتها ، فتكفل بها عليه السلام ، إذ لاكفيل لها من قومها .

شريعة العهد القديم كما نص عليها الأصحاح العشرون من كتاب التثنية تقول للمقاتل المؤمن بها :

« حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح . فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير وتستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة وكل غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا فلا تستبقى منها نسمة ما بل تحرمها تحريمًا . . . » .

وأقسى من هذا الجزاء جزاء المدن التي ينجم فيها ناجم بالدعوة إلى غير إله إسرائيل ، فإنها كما جاء في الأصحاح الثالث عشر من كتاب التثنية .

« فضربا تضرب بحد السيف وتحرم بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار . . المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك ، فتكون تلا إلى الأبد لاتبنى بعده . . . » .

فلا حجة للمسلم على صدق محمد عليه السلام في رسالته أصدق من سيرته في زواجه وفي اختيار زوجاته ، وليس للنبوة من آية أشرف من آيتها في معيشة نبي الإسلام من مطلع حياته إلى يوم وفاته .

ما الذي يفعله الرجل الشهوان الغارق في لذات الجسد إذا بلغ من المكانة والسلطان ما بلغه محمد بين قومه ؟

لم يكن عسيرًا عليه أن يجمع إليه أجمل بنات العرب ، وأفتن جواري الفرس والروم على تخوم الجزيرة العربية .

ولم يكن عسيرًا عليه أن يوفر لنفسه ولأهله من الطعام والكساء والزينة ما لم يتوفر لسيد من سادات الجزيرة في زمانه .

فهل فعل محمد ذلك بعد نجاحه ؟

هل فعل محمد ذلك في مطلع حياته ؟

كلا : لم يفعله قط بل فعل نقيضه ، وكاد أن يفقد زوجاته لشكايتهن من شظف العيش في داره .

ولم يحدث قط أن اختار زوجة واحدة لأنها مليحة أو وسيمة ، ولم يبن بعذراء قط إلا العذراء التي علم قومه جميعًا أنه اختارها لأنها بنت صديقه وصفيه وخليفته من بعده : أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

شرع الإسلام العتق ولم يشرع الرق ، إذ كان الرق مشروعًا قبل الإسلام في القوانين الوضعية والدينية بجميع أنواعه : رق الأسر في الحروب ، ورق السبي في غارات القبائل بعضها على بعض ، ورق البيع والشراء ، ومنه رق الاستدانة أو الوفاء بالديون .

وكانت اليهودية تبيحه ، ونشأت المسيحية وهو مباح فلم تحرمه ، ولم تنظر إلى تحريمه في المستقبل ، وأمر بولس الرسول العبيد بإطاعة سادتهم كما يطيعون السيد المسيح ، فقال في رسالته إلى أهل أفسس :

« أيها العبيد ! أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح ، ولا بخدمة العين كمن يرضى الناس بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس ، عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبدا كان أم حرا . . »

وأوصى الرسول بطرس بمثل هذه الوصية ، وأوجبها آباء الكنيسة لأن الرق كفارة من ذنوب البشر يؤديها العبيد لما استحقوه من غضب السيد الأعظم ، وأضاف القديس الفيلسوف توما الأكويني رأي الفلسفة إلى رأي الرؤساء الدينيين فلم يعترض على الرق، بل زكاه . لأنه على رأي أستاذه أرسطو حالة من الحالات التي خُلق عليها بعض الناس بالفطرة الطبيعية ، وليس مما يناقض الإيمان أن يقنع الإنسان من الدنيا بأهون نصيب .

يقول المنكرون المتعصبون لدين غير الإسلام إن الدعوة برمتها تلفيق رجل دجال . ولا ندري كيف تسيغ عقولهم أن يكون الرسول الدجال أرفع أدبًا وأشرف خلقًا وأبر بالإنسانية الضعيفة من الرسل الصادقين .

شاع عن الإسلام أنه دين السيف ، وهو قول يصح فى هذا الدين إذا أراد قائله أنه دين يفرض الجهاد ومنه الجهاد بالسلاح ، ولكنه غلط بيِّن إذا أريد به أن الإسلام قد انتشر بحد السيف أو أنه يضع القتال فى موضع الإقناع .

وقد فطن لسخف هذا الادعاء كاتب غربى كبير هو توماس كارليل صاحب كتاب « الأبطال وعبادة البطولة » فإنه اتخذ محمدًا عليه السلام مثلاً لبطولة النبوة وقال مامعناه .

« إن اتهامه بالتعويل على السيف فى حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم . إذ ليس مما يجوز فى الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس أو يستجيبوا لدعوته ، فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعين مصدقين وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليها » .

وقد حاول حاكم من أكبر حكام الغرب أن يلصق بالتشريع الإسلامى مظنة التحجر فى العصر الحاضر ، فشاء القدر أن يجرى عليه قصاصًا كان ينعاه على التشريع الإسلامى فى معاقبة المفسدين ، لأنه أمر بإحراق عصابة من اللصوص فى مزرعة من القصب لاذت بها وتحصنت فيها من مطارديها ، فى جهة البلينا من صعيد مصر ، فأمر الحاكم مفتشه من قومه بأن يشعل النار فى المزرعة ويتصيد من يهرب منها ضربا بالرصاص .

ذلك الحاكم هو لورد كرومر قيصر قصر الدوبارة فى القاهرة كما يلقبونه فى زمنه وقد أخذ على الشيخ العباسى مفتى الديار المصرية أنه سئل عن عقاب العصابات فذكره كما جاء فى الآية الكريمة :

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٤)﴾ [المائدة : ٣٣ ، ٣٤]

وهذه عقوبات فرضت فى الجزيرة العربية قبل استفتاء الشيخ العباسى (سنة ١٨٩٠) بثلاثة عشر قرنا وفيها التخيير بين القتل وقطع الأطراف وبين السجن أو الإقصاء من الديار ، وفيها العفو عمن تاب واستقام وليس فيها الإحراق الذى كان للحاكم مندوحة عنه ، لو أنه آثر أن يصبر على محاصرة المفسدين حتى يستسلموا له طائعين .

وكانت آمال النعيم المحسوس تساور قلوب القديسين فى صدر المسيحية فضلاً عن عامة العباد بين غمار الدهماء . ومن أشهر هؤلاء الأقطاب المعدودين رجل عاش فى سورية فى القرن الرابع للميلاد وترك بعده تراتيل مقروءة يتغنى بها طلاب النعيم وهو القديس أفرايم الذى يقول فى إحدى هذه التراتيل :

« ورأيت مساكن الصالحين رأيتهم تقطر منهم العطور ويفوح منهم العبير تزينهم ضفائر الفاكهة والريحان ... وكل من عف عن خمر الدنيا تعطشت إليه خمر الفردوس ، وكل من عف عن الشهوات تلقته الحسان فى صدر طهور » .

واتفق أحبار الغرب وأحبار الشرق فى وصف النعيم بهذه الصفة فقال القديس أرنيوس Irenius أسقف ليون فى القرن الثانى (سنة ١٧٨ للميلاد) :

(إنما السيد المسيح أنبأ يوحنا اللاهوتى أن ستأتى أيام يكون فيها كروم لكل كرمة عشرة آلاف غصن ولكل غصن عشرة آلاف فرع ، ولكل فرع عشرة آلاف عسلوج ، ولكل عسلوج عشرة آلاف عنقود ، ولكل عنقود عشرة آلاف عنبة وتعصر العنبة منها فتدر من الخمر مائتين وخمسة وسبعين رطلا) [1] .

ولم يبلغ الإسلام هذا المبلغ من التمثيل بالمحسوسات ، ولكنه يشفعها بعقيدته التى تمنع المسلم أن يكون جسدًا محضًا فى دنياه فضلا عن آخرته ، وينهى المسلم أن يقيس نعيم الرضوان على نعيم الدنيا :

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)﴾ [السجدة : ١٧]

أو كما جاء الحديث الشريف : « فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

وتعددت مسائل الاجتهاد التى قضى بها الفاروق فى خلافته فأعفى من العقوبة وأسقط سهم المؤلفة قلوبهم ، وفرض الخراج ، وأنشأ من المكافآت والعقوبات ما لم يكن معمولاً به قبل خلافته .

كان يقول : لا تقطع اليد فى عذق ولا عام سنة ، وسرق غلمة لحاطب بن أبى بلتعة ناقة لرجل من مزينة وأقروا بالسرقة فقال عمر لكثير بن الصلت : اذهب فاقطع أيديهم ، ولمح فى وجوههم شحوبًا فأمر بردهم وقال : أما والله لولا أنى أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى أن أحدهم أكل ما حرم الله عليه حوله لقطعت أيديهم . وايم الله إذ لم أفعل لأغرمنك غرامة توجعك . ثم قال : يا مزنى! بكم أريدت منك ناقتك؟ قال بأربعمائة . قال عمر : اذهب فأعطه ثمانمائة . .

وسئل الإمام أحمد بن حنبل : أتعمل به؟ قال : إى لعمرى . لاتقطع يد السارق إن حملته الحاجة على ذلك والناس فى مجاعة وشدة .

وأسقط عمر سهم المؤلفة قلوبهم ، وكان النبى عليه السلام قد أعطى أبا سفيان والأقرع بن حابس وعباس بن مرداس وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن كل واحد منهم مائة من الإبل . وطلب عيينة بن حصن والأقرع بن حابس أرضًا من أبى بكر الصديق فكتب لهما بها . فلما رأى عمر الكتاب مزقه وقال : إن الله أعز الإسلام وأغنى عنكم . فإن ثبتم عليه وإلا فبيننا وبينكم السيف .

وقبل الاحتلال البريطانى لمصر - أثناء الاحتلال الفرنسى في القرن الثامن عشر- حكم قضاة نابليون على سليمان الحلبى قاتل القائد كليبر بالقتل على الخازوق وقطع يديه ورجليه يدًا بعد يد ورجلاً بعد رجل ، ثم إحراقه حيًا بعد هذا التعذيب .

أما الذين حاكمتهم محاكم التفتيش فى القرن الثالث عشر للميلاد - أى بعد بعثة النبى العربى بسبعة قرون - فحكمت عليهم بالإحراق فعدتهم مئات وألوف ، منهم العلماء والأدباء والقساوسة والمتهمون بالسحر ومحالفة الشيطان ، وليس منهم سفاح ولا قاطع طريق ، وذنبهم كله أنهم يُحلُّون من المعرفة ما يحرمه رجال الدين .

ولا نعلم أن أحدًا من قضاة التفتيش أو من قضاة نابليون ندم على إحراق الناس بقية الحياة ، ولكننا نعلم أن خليفة مسلمًا عاقب لصًا من عتاة الجناة المفسدين غدر بعهد الأمان وقتل الأبرياء وتحدى ولى الأمر وأعوانه واستحق حكم الموت فأحرقه الخليفة بالنار . ذلك هو الفجاءة بن إياس بن عبد ياليل الذى وفد على الخليفة أبى بكر الصديق يسأله سلاحًا يحارب به المرتدين ويحمى به الطريق ، فلما أعطاه السلاح خرج به يقطع الطريق وينهب السابلة ويحارب المسلمين ، فطارده الخليفة حتى ظفر به فألقى به فى النار ، وعاش بقية حياته يندم على هذه المثلة لأنها من غضب الحدة ، وإن كان غضبًا لا يعاب .

ونحن لم نكتب فصول هذا الكتاب لنبشر بالإسلام هؤلاء الماديين المتعطشين إلى إنكار كل معنى شريف من معانى الحياة البشرية ، ولكننا كتبناه للمتدين المنصف الذى يستطيع أن ينظر إلى دينه وإلى هذا الدين نظرة واحدة ، وكتبناه أولا وأخرًا للمسلم الذى يتلقى حملات خصوم الإسلام من المتدينين وغير المتدينين ، ليعلم أنه خليق أن يطمئن إلى حقائق دينه فى هذا العصر سواء نظر إليها بعين العقل أو بعين الإيمان ، وأنه خليق أن يواجه الغد بما يؤمن به من عقائد دينه ومعاملاته وحقوقه وآدابه وأخلاقه فلا يعوقه عائق منها أن يجارى الزمن فى المستقبل إلى أبعد مجراه .

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد

حسابات حدوتة كتاب

للاندرويد
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.BookHdotah

للكمبيوتر والايفون
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/Book_show_simple.php

يوتيوب
https://www.youtube.com/channel/UCTG5AYoNunvwpHnPEybZxRg

فيسبوك
https://www.facebook.com/hdoott

واتساب
https://chat.whatsapp.com/GRX8q4psOOVEsaVTvcYLeD

تلجرام
https://t.me/Book_hadotah

شاركونا كتبكم على هذا الرابط
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/coments_form.php

او في قسم (شاركنا كتاب) بقائمة التطبيق

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)



www.cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com
+201001490077 - +96890968355